١- دور الأدب في تعريف شخصية الأمة من خلال كتاب

(قيم جديدة في الأدب العربي القديم والمعاصر)

للدكتورة عائشة عبد الرحمن

بقلم: الدكتورة فدوى نور الدين الخطيب

استاذ مساعد في كلية التربية في الجامعة اللبنانية

rimahkhatib@gmail.com

دور الأدب في تعريف شخصية الأمة:

الأدب هو الكاشف الحافظ للقيم الثابته في الإنسان والأمه , الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في شخصية الامه والفرد , تلك الشخصية التي تتصل فيها حلقات الماضي والحاضر والمستقبل , وشخصية اي امه من الامم , ليست من الاعاض الطارئة التي تتحمل التبديل او التغيير , فيصح ان تكون موضع وجهات نظر , فمن قديم الأزل تكونت هذه الشخصية بفعل عوامل طبيعية , وسنن كونية انصهرت عناصرها في بوتقة الادوار الكبرى التي مرت بها هذه الامة في ماضي عمرها الطويل، فصقلت جوهرها الاصيل الحر , ونفت عنه الشوائب والأعراض الطارئة والصبغات الدخيلة , فبهذه الشخصية الاصيلة المميزة عرفتها الدنيا عبر الاجيال المتتالية وارتبط بها وجودها التاريخي لانه غير منفصل عنها , وهو داخل في تكوين عناصر أجيالها .

اذاً فشخصية الأمة أي أمة موجودة عبر اجيالها المتتالية , فهذا هو ناموس الوراثه , ولم تنتظر امتنا العربية هذا الجيل من التغريبين أن يرسم لها ملامح شخصيتها , كما لم تنتظر اي جيل من الاجيال ان يكسبها هوية محدثة , او يتصرف في مكونات و أصول هويتها القومية , فيمحو ما يشاء , ويثبت ما يشاء على نحو ما يحدث مع المذاهب الفكرية المستوردة , وهو ما حصل ويحصل على مختلف ساحات وطننا العربي , فاصحاب المشروع الصهيوني , المتنكرين بازياء الماسونية العالمية والداروينية والتقدمية وغيرها من المذاهب السياسية والفلسفية ممن

يعبثون بوجدان ابناء امتنا . ومن دعاة الحرية المشبوهة من اعداء البشرية الذين عملوا ويعملون دوما على ابعاد ابناء امتنا عن قيمها الاصيله خاصة وان لكل أمه صورتها المميزة لها عن غيرها من الأمم واجيالها حلقات , وعلى كل جيل أن يمد يده الى الجيل الذي يليه فاذا تم هذا , فنحن امام كيان مستقيم معافى , شان الامة في ذلك شأن الجسم السليم في الانسان بسلسلته الفقرية المتماسكة , واذا لم يتم ذلك , فنحن حتما امام كائن سقيم , انفصلت حلقات وجوده ولم يعد يصلح للبقاء، وهو ما يحصل على مختلف ساحات وطننا العربي الشقي بمختلف اقطاره .

والعامود الفقري لاي امة هو التاريخ المشترك، والذي يؤدي حتما الى مصير مشترك، وماضي الانسان مرتبط ارتباطا وثيقا بحاضره ، ومستقبله ليس سوى امتداد لذلك الماضي والذاكرة هي التي تحفظ للوجود الفردي وحدته , وهي التي تجعل حياة الانسان متماسكة ملتحمة الاسباب والنتائج والتاريخ قطعا هو ذاكرة الشعوب والامم التي تحفظ بها وحدتها وتختزن فيها مفاخر ماضيها وامالها في الحاضر والمستقبل .

من هنا راحت عائشة عبد الرحمن تستخلص لأدبنا العربي قيما جديدة نابعة من تراثنا الأصيل , دون الالتزام بالقيم التي ذهب إليها نقاد نظروا الى التراث بأذواق مختلفة، ولتخلص ذلك التراث من أراء نقاد نظروا الى تراثنا بروح العداء وحكموا عليه بعقلية توجهاتهم المشبوهة، ليتناقلها الدارسون جيلاً بعد جيل في جامعاتنا الأكاديمية ومراكز البحوث ودور النشر والاعلام على اختلاف مشاربها وتوجهاتها .

وبما أن الأدب عصارة روح الشعوب بمختلف قضاياها الاجتماعية منها والتاريخية، لذلك رأت بنت الشاطىء ان حيثما كانت الحياة قوية زاهرة , كان الأدب في طليعتها وقائدها وصورتها , وحيثما ركدت الحياة فيها وتخلفت كانت محنتها بالأدب تعادل محنتها بالحياة .

ومما لا شك فيه ان المؤثرات التي واجهت الادب العربي سواء قديمة او حديثة هي نفسها حيث طرأ على مؤثراتها الاجتماعية والعقلية أفكار جديدة وممارسات كثيرة دخلت على الأدب العربي منذ العصر الجاهلي الى الفتوحات الاسلامية ونشوء دولة الخلافة الراشدية ثم الاموية فالعباسية الى ان دخلت بعصر الانحطاط وبروز الدويلات المتعددة على الساحة الأدبية .

انعكست هذه المؤثرات التي فرضتها ظروف عصرهم على صراع العناصر المكونة لهذا المجتمع والمؤثرات السياسية من تنازع القبائل والأسر ونظم الحكم ، وكان لها التأثير الواضح على الأحكام الأدبية حينها.

فكل الأحكام التي صدرت على هذا الأدب تأثرت بألوانٍ شتى، لذلك كانت أصداء ونتائج لهذا الواقع المجتمعي والمادي .

لهذا كان للاحكام والمقاييس النقدية تأثرها الواضح بالأذواق التي قضتها ظروف عصرهم الاقتصادية والاجتماعية وما زالت أحكامهم ونماذجهم ومقاييسهم هي التي تتركز عليها دراساتنا اليوم .

تقول د. عائشة بذلك : " قضي علينا ان نستعير عقليتهم وذوقهم لنفهم تراثنا ونتذوقه، ثم لتبرز لنا رفض ابن قتيبه عالم ٢٧٦هـ استعارة ذوق السلفيين بقوله:" لم اسلك سبيل من قلد أو أستحسن باستحسان غيري"[١] .

وتقول بنت الشاطىء في ذلك : اذا كان ابن قتيبه يرفض الاخذ بوجهة نظر غيره في تقييمه للادب القديم , فحري بنا اليوم –ومستقبلنا بلا شك معركة فكرية بعد ان انقضى عصر الاستعمار العسكري –, ان نخوض هذه المعركة , فوجودنا الكريم لا يحميه الا صوت مقوماته المعنوية والمادية , ولأن قانون الوراثة أشد احتكاماً هنا من أي ميزان آخر إذ أن الأمر متصل بالشخصية الوجدانية للأمة[٢] .

اعتبرت بنت الشاطىء ان استخلاص قيماً جديدة لأدبنا العربي القديم يجب أن يكون نابعاً من تراثنا الأصيل , دون الالتزام بالقيم والأحكام التي ذهب إليها نقاد نظروا الى هذا التراث بذوق عصورهم وحكموا عليه بعقلية زمانهم وقوموه بموازين بيئاتهم ومجتمعاتهم[٣] .

لهذا رات بنت الشاطىء ان الانطلاق يجب ان يكون من تراثنا الأدبي دون الالتفات الى أحكام مؤرخيه واراء نقادٍ نظروا الى هذا التراث بذوق عصورهم وحكموا عليه بعقلية زمانهم وقوموه بموازين بيئاتهم ومجتمعاتهم[٤] . اكدت بنت الشاطىء ان الانطلاق يجب ان يكون في التفرقة بين تراثنا الأدبي وبين احكام مؤرخيه واراء نقاده لهذا كانت مهمتنا هي استخلاص القيم دون الالتزام بما اعتمدة علماء الشعر القدماء من أراء وأحكام ومقاييس نقدية تلتزم مقاييس زمنهم لذلك قامت باستقراء النص الأدبي منه والشعري في ضوء الواقع التاريخي دون ان يغيب عنها المؤثرات التي دخلت عليها من تأثيرات دخيلة وبذوق عصرى شخصي المزاج حسب مذهبها في الفن والحياة دون خروجها بالنص عن واقعيته وبيئته وروحية عصره .

هذا بعض الجزء الاول من الكتاب الذي يدرس بعض نماذج من أدبنا القديم في العصر الأموي والعباسي وعصر الانحطاط للوصول الى الفترة الأدبية المعاصرة التي ستكون محور التركيز وذلك لأن وجودنا يفرض علينا ان نضيف جديدا الى مقومات حياتنا الأدبية المعاصرة، فتلك هي سنة التطور ومن ماضينا يكون منطلقنا الى مرحلة تبدأ حيث انتهى أمسنا للاستفادة من كل جديد نافع . واذا كان الوقوف الجامد لما وصل اليه السلف خروجاً عن

---

[١] د. عائشة عبد الرحمن: قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر، ص١٣

[٢] د. بنت الشاطىء قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر ص ١٩

[٣] د. بنت الشاطىء قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر ص ١٥

[٤] د. بنت الشاطىء قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر ص٤٨

قانون التطور فان بتر ماضي الأمة والانطلاق من فراغ مسخ لمفهوم التطور الطبيعي للأفراد والأمم وتضييع لمعالم الشخصية القومية والتاريخية وهو ما أراده دعاة التغريب من التطوريين من اصحاب نظرية داروين وغيرهم من جنود المشروع الصهيوني على كانت المستويات الاكاديمية والاعلامية([٥]).

واذا كان منطق التطور يفرضى ان يضيف الى عصرنا الادبي جديده، فسذاجة ما بعدها سذاجة ان يتصور البعض ان تطور ادبنا يعني ان ينطلق بجديده، بمعزل عن ميراث ماضيه، وينسوا ان الآداب الوافدة اذا جاءت على فراغ وخلاء لا تضيف الى وجودنا شيئاً ، وانما تفرض علينا ان نعيش بوجدان مجلوب مستعار. وان هذا الوجدان سيكون من صنع مذاهب غريبة تعمل على تشويه موروثنا وتضييع حاضرنا ومستقبلنا .

ومستقبلنا بلا شك معركة فكرية بعد انقضاء عهد الاستعمار العسكري ولا مفر لنا من خوض هذه المعركة فوجودنا الكريم لا يحميه الا صون مقوماته المعنوية والمادية وهذا ما يحدد وجودنا الحي دون زيف او ضلال[٦] .

اعتقدت بنت الشاطئ ان الادب العربي المعاصر لن يقوم بدوره الايجابي في معركة الوجود ما لم يتخلص من الرواسب التي شوهت تراثنا الادبي وما لم ننجوا بذوقنا من سيطرة الاذواق التي ورثناها سابقاً والتي نتداولها حاضرا . فالتخلص من مخلفات عهود الضعف السابقة والانقياد الاعمى الى تيارات الفكر الغربي اليوم، هو ما يهدد مصير امتنا حاليا ولن تقوم للادب العربي فينا قائمة ما لم تهدم الاسوار التي عزلت اجيالنا المتعاقبة عن بهاء تراثنا واجمل ماضيه، وما لم نمح الظلال التي حجبت عنا ميراثنا الادبي، كما ترى ان الاديب المعاصر يستطيع ان يصغي الى نبض الحياة في اضيق زقاق في قريته ويحلق بها في رحاب الافق الانساني فوق كل حدود، فجوهر المعاصر هي ان يصغي الاديب الى النبض الوجداني للانسان، اينما كان وبقدر ما يتميز العمل الادبي تكون اصالته وفرصته للعالمية وللخلود[٧] ,

واقع المجتمع العربي المعاصر :

الا ان الذي حدث كما تراه بنت الشاطىء في محيطنا الثقافي، هو انشغال الامة في مصر وسائر اقطار الوطن العربي بنضالها السياسي عن وجودها الفكري ، كما انشغلت الجامعه المصرية عن اعباء مركزها القيادي في الامة، وانطوت على كيانها المريض تحاول ان تستبقى فيه روح الحياة وارادة البقاء، في الوقت الذي كانت فيه دور العلم الاخرى في الوطن العربي ترزح كذلك تحت اوضاع مماثلة للتي كانت في مصر، وفتحت الابواب

---

[٥]). د. عائشة عبد الرحمن قيم ادبية جديدة للادب العربي القديم والحديث ص ١٨٨

[٦]) عائشة عبد الرحمن قيم ص ١٧٩

[٧]) عائشة عبد الرحمن قيم ص ٢١٢

للبعثات التبشيرية والارساليات الاجنبية من كل جنس ولون وهذا ما ادى الى فقدان التعاصر الثقافي والوضوح الفكري في مرحلة التكوين والتاثر من ابناء هذا الجيل والاجيال التي بعده، وتستعرض بنت الشاطئ هذه الظاهرة فتقول: "فينا من تلقى زاده الاول من نبع عربي صميم حصنه ضد تيارات الفرنجة الوافدة ، وفينا من لازاد له الا الفكر الاجنبي فقد امضى مرحلة الحضانة العقلية والتكوين النفسي في بيئة عزلته عن وجود امته " [٨] . هكذا دخلنا الميدان الادبي ونحن نحمل رضينا ام كرهنا ، ميراثنا المحتوم، هكذا التقينا او نلتقي وكائنا غرباء او اعداء.

لقد اتيح لبنت الشااطىء الاشتراك في كثير من مؤتمرات ادباء العرب وحضرت ندواتهم في اقطار كثيرة من وطننا العربي كما اتيح لها ان تلتقي بادباء تلك الاقطار في حلقات دراسية ومؤتمرات دولية في اوروبا فكانت ظاهرة فقدان التعاصر والتواصل تسيطر على جموعهم.

وبدا لها بوضوح انه ما من صاحب قلم الا اخذ مكانه بين الاستغراق في الرجعية او الانجراف في تيارات التقدمية الغربية، بمختلف تياراتها من يمين ويسار، بحيث يصعب على اي مراقب ان يلقى في الجمع المحتشد الا حزبين متباعدين يتحمس احدهما لقديمنا ولا يمل اجترار ذكرياته والتغني بأمجاده والتفاخر بأبطاله [٩] .

اما الفريق الاخر فقد طرح وراء ظهره كل ماضي امته، مصغيا بكل وجدانه الى دعوات الحاضر، مشدود البصر والعقل والوجدان الى امم الغرب ، يدين لها بالولاء الادبي والفكري .

رات بنت الشاطئ انه يمكن تفسير هذه المواقف بانها ظاهرة طبيعية في هذه المرحلة عرفتها الدنيا في كل عصور الانتقال، فما اسهل ان يقال لا باس علينا من هذا الصدام فهو دليل حيوية ونشاط، وصمام امن يحتفظ للامة ببعض تراثها، ويلتمس لها جديد غدها فيحميها من الجمود والتحجر ويغفل عما وراء هذا الظاهر البادي من اعماق غائرة غاية في الخطورة على مصير المجتمع والأمة . كما كشف لها ضجيج المعترك الادبي الحاصل بين الفريقين عن مخاطر قد تتفجر براكين تزلزل هذا الوطن الواقع في مهب العواصف التي تأتيه من كل جهة وصوب ، كما كشفت لها هذه المعطيات عن عقد وازمات لا يهون معها اخذ الأمور بظواهرها ولا يسلم معها الاطمئنان الى ان ما يصطخب فيها من تيارات متضاده لا يعدو ان يكون دليل عافية واتزان، وظاهرة طبيعية للمرحلة التي يجتازها مجتمعنا العربي . وهذا ما رفضته رفضا قاطعا فليس الامر بهذه البساطه واليسر، ويحمل في طياته كوارث ستضرب مجتمعاتنا في كافة وطننا العربي ، وهي لم تجد اي قدر مشترك من الملامح الفكرية الشاهدة على انتمائهم لامة واحدة وعصر واحد وترى في تلك الظاهرة اثراً محتوما للتفاوت الكبير في ظروف

---

[٨]) عائشة عبد الرحمن، قيم نقدية ، ص ١٧١

[٩]) عاشة عبد الرحمن ، قيم نقدية ، ص ١٦٦

نشأتنا ومناهل ثقافتنا، الامر الذي اثر بالتباعد لا بين الادباء فحسب ولكن على مستوى كافة الطبقات الاجتماعية في وطننا العربي[١٠] .

تحدثت بنت الشاطىء عن ظاهرة التفكك الاجتماعي كما تحدث عنها بعض ادباء وساسة مصر وفي هذا يشبه احد الادباء المجتمع المصري الطفل الوليد الذي يحتاج الى التربية التي تؤهله ان يصبح كائناً مستقلا يفكر بعقل واحد او متقارب ويؤثر في الدولة والمجتمع تأثيراً ظاهراً فالتربة صالحة لنشأة هذا المولود ولكن التربية مهملة. فكل شيء في وطننا يجعل من هذا المولود مشوها مضطربا مشتت الرأي، لأن كل شيء في بلادنا له نسخ متعددة واثواب مختلفة، فهناك تعليم اجنبي وحكومي وتعليم جامعي خارجي ومحلي كل هذا الخليط في الاوضاع التعليمية والتربوية، والاطار الذي يعيش به المواطنين ابناء البلد الواحد، جعل لهم بالضرورة عقليات مختلفة، كل عقلية تفكر تفكيراً خاصا , وترى الدنيا من زاوية منفردة، وكان من اثر ذلك ان سجن كل فرد داخل حلقة منفصلة عن غيره، وجعل الفرد يرى الدنيا من زاوية منفردة ، لا يشعر بشعور مواطنه الآخر ولا جاره حتى، وتنفكك عقلية الأمة الواحدة، وبتفكك عقلية الراي العام في الوطن الواحد الى عقليات متعددة مختلفة متضاربة، ويتم تفكك شخصية الأمة واذا تفككت شخصية الأمة، فمعنى ذلك انحلالها وموتها ، وهنا تصبح مسؤولية الأدباء كبيرة وخطيرة على صحة المجتمع ومصير الوطن، ومبادىء حقوق الانسان لا تتنافى، بل تقابلها حقوق الجماعات بعد أن اصبح للعدد اي للكتل البشرية ارادة وحقوق خاصة، فعل المفكر ان لا يتجاهل هذه الافراد او الجماعات ، فأمواجها الهادرة قد تعلو لتغرق البلاد بابشع انواع الفتن .

لهذا أبرزت بنت الشاطىء الدور العظيم الذي قام به الزعيم القائد جمال عبد الناصر في تحليلها لأبعاد فكره الاجتماعي والسياسي في كتابه فلسفة الثورة، الذي اعتمده فترة حكمه في المدارس المصرية على مختلف انتماءاتها ، ولتبرز ذلك بقوله في وصفه لهذه الظاهرة الخطيرة: "اباً معمماً من صميم الريف وأماً منحدرة من أصل تركي، وابناء الأسرة في مدارس على النظام الانكليزي، وفتياتها في مدارس على النظام الفرنسي " . كل هذه النماذج داخل أسرة واحدة، لتبرز بنت الشاطىء مقدرة واخلاص الزعيم عبد الناصر في محاولاته لعلاج آفات مجتمعه لتمتعه بالضمير الواعي كقائد مسؤول عن تبعاته السياسية التي تكمل قطعاً دور الأدباء والمفكرين في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ حياتنا، وبعد التحول من عصر التبعية الاستعمارية الى عصر الحرية والبناء، ومسؤولية الأدباء والقادة السياسيين واحدة في هذا الشأن، لانهم يحملون مسؤولية مشتركه عن الأفكار التي تتسرب الى الاجيال

---

[١٠]) د. عائشة عبد الرحمن قيم جديدة للادب العربي القديم والحديث ص ١٧

الجديدة [١١] ، الا ان القدر لم يمهل ذلك القائد لإكمال ما بدأ به في محاولاته لرأب الصدع في هذه الأمة المنكوبة بشتى أنواع العلل، وليس أقلها دعوات التقدميين ومقالات التطويريين.

وفي هذا تقول بنت الشاطىء:" نحن جميعاً ننتمي باقتراب ميراثنا الى عصر الاحتلال الأجنبي لبلادنا حيث عطلت الطاقة الفكرية والعقلية لمن لم تتاح لهم فرصة التعليم من أبناء هذه الأمة وفتحت الأبواب للبعثات التبشيرية والإرساليات الأجنبية من كل جنس لون لتتغلغل في صميم الوجود الفكري للأمة، ولتسلخ ما استطاعت سلخه من أبنائها بما تزرعه فيهم من عقدة الشعور بالنقص وما تلقى في روعها من ان الشرقية سمة تخلف وانحطاط وان اتصالنا بقديمنا ظاهرة تحجر وجمود[١٢] .

وكان على راس ظاهرة التغريب هذه، قادة فكر وكتاب يدعون للتفكر بكل ما هو عربي للتخلص من التخلف العقلي والجمود الفكري وكان أحد الأقطاب الكبار لهذا الدعوة المفكرو والكاتب اسماعيل مظهر الى جانب الداعية سلامة موسى الذي راح يدعو للتخلص من اللغة العربية، وفي هذا يقول:" الدعوة باننا امة شرقية الدم او الثقافة او الحضارة هي دعوة زائفة لا أساس لها البتة". ولهذا راح يعلن موقفه بانه "كافر بالشرق مؤمن بالغرب" وهذا ما جعله يصرح بأنه في كل ما كتب ويكتب يحاول أن يغرس في ذهن القارئ النزعات التي اتسمت فيها اوروبا في العصر الحديث".

هكذا راحت بنت الشاطىء تسترجع صدى تلك الأصوات الداعية الى التحرر مما أسموه عتيقنا البالي ومبشرة بارض غريبة لا تمت الينا الا بصلة العداء ونهب الثروات.

لقد أصغت بنت الشاطىء في صباها إلى أصوات المعاول تهوى في قسوة وإصرار على الأسس التي أرساها فوق ارضنا ادباء وعلماء كثر سهروا على مضاجع قومهم، يهزوها بدعاء الفجر ويخايلوا ابناء شعبهم برؤى مثيرة عن ماضٍ لنا عريقاً قبل أن تطويه المحن لتبرز صوت أحد أبرز وجوه الهدم الكاتب اسماعيل مظهر في تصريح له لمجلة المقتطف في تعظيمه للحملة الفرنسية وتشنيعه على الشعب المصري وعلى راسهم جمال الدين الافغاني فقد اشتدت ضربات معوله على الأفغاني ليرى فيه صورة لعصر من العصور البائدة في تاريخ الفكر الاسلامي ، وبعد ان مسخت أزهي عصور الحضارة العربية الاسلامية في وجدان اسماعيل مظهر فيما ترى بنت الشاطىء في حضارتنا ازهى وانضر عصور الإنسانية وعلى أساسها المتين كان منطلق حركة الاحياء "الرنسانس" التي بدأت بها أوروبا عصر نهضتها الحديثة[١٣] .

---

[١١]) عائشة المرجع نفسه ص:١٧٠

[١٢]) عائشة، المرجع نفسه، ١٠٤-١١٠

[١٣]) عائشة المرجع نفسه ص ٢٠٦-٢٠٨

وتقول بنت الشاطئ في تعليل هذه الظاهرة،" مسخت لان الذين حملوا لواء القيادة فيها عرب مسلمون وصارت جريمة جمال الدين الافغاني عند اسماعيل مظهر وأقرانه أن الافغاني أعاد إلينا صورة مصغرة أو مكبرة عن علمائنا الذين يعتز بهم تاريخ الفكر البشري والحضارة الانسانية وكانت تهمه الافغاني عند اسماعيل مظهر انه دعا الى استقلال الشعوب الاسلامية وإعدادها لمقاومة النفوذ الأوروبي الذي يعمل مظهر وأقرانه عليه في هذا الشرق .

هكذا راح معول اسماعيل مظهر ينفذ بضربات حادة الى أعماق وجودنا في شخص الأفغاني الذي عده اسماعيل مظهر "وريث العرب" بحق في علومهم وفلسفتهم، وقف من الرقي حيث وقفوا عند النظر الغيبي، فكان كل ما دبجته براعته، او تحرك به لسانه مثالاً حياً لما اختلط من مباحث آياته القرآنية، وكتب اختلط فيها العلم بالفن ليخرج من مجموعها فلسفة هي عنوان ما بلغ الفكر الانساني من تهوش وانحلال .

تشير بنت الشاطئ الى المعول الآخر في هدم ثقافتنا القومية آلا وهو صوت الكاتب سلامه موسى الذي لم يجد في ماضينا العربي خير قط، ولم يلحظ في تاريخ الحضارة الاسلامية بذرة تصلح للبقاء وهنا تستعرض كتابه "هؤلاء علموني" اذ لم يسمح لأي مفكر عربي أن يأخذ مكاناً في ذيل الموكب الجليل لمعلمي سلامة موسى وتعدد منهم –تولستوي– ماركس – بافلوف – ديستيوفسكي – داروين – فرويد الخ ... الى اخر القائمة الأجنبية التي ليس فيها اسم عربي واحد.

كانت بنت الشاطئ تسمع هذه الاصوات في مطلع صباها وهي التي نشأت في بيئة دينية وصلتها بامجاد الحضارة العربية الاسلامية وروائع التراث الفكري والأدبي فيها كبيرة حيث كانت تستشرف آفاق المنهج الاسلامي للمعرفة قيماً إنسانية رفيعة ومثلا عليا لا تطمح البشرية الى أعز منها حفظت كلمات وأفكار لعلماء كبار سلفوا قررت كرامة الانسان واعلت شرف العلم وحرية الكلمة من قبل ان تسمع الدنيا بهؤلأ الفرنجة بكل انجازاتهم وموبقاتهم من هؤلاء الذين علموا المتجهون غرباً من ابناء أمتنا .

إلا ان الذي حدث فعلاً، كما تعلله بنت الشاطئ ان الكثرة من اصحاب القديم جمدت على قديمها برجعية كافرة بالتقدم ففقدت صلتها بالعصر والحياة كما ان الكثرة من اصحاب الجديد فتت بحديثها وفقدت كل اتصال بقديمنا فعز على القلة التي احتفظت برشدها بين التيارين إلا أن تحمي الشباب العربي من مأسات الضياع والحيرة هكذا راحت بنت الشاطئ تحاول اصلاح الصورة التي اختلفت بشأنها التيارات المتنافرة لتظهر حقيقة الاسلام في دعوته إلى العلم باول اياته –اقرأ– وبتوجهه دوما لذوي " الألباب " لتنفي عن هذا الدين كل أسباب التخلف والجهل التي اتهمه بها تيار التقدميين باعتباره هو المسؤول عن تعطيل أي تطور، فتوهموا أن خلاصنا هو في انتزاع انفسنا

المشبعة برأي الاسلام لنزرعها في ارض غريبة من اعداء البشر، لأنها رأت بذلك أننا سنصبح فريسة سهلة في براثن أعداء البشرية .

والذي تؤكده بنت الشاطئ أن للتيار التغريبي دعاة من أجيال متتالية وتستشهد على ذلك بكتاب غالي شكري الذي يحمل عنوان " سلامة موسى وأزمة الضمير العربي المعاصر " كنموذج لتفكير شباب صلتهم بسلامة موسى صلة أبوة فكرية وروحية تأثروا بالأصوات التي ترددت في الأفق داعية إلى نبذ قديمنا كله ومبشرة بأرض جديدة لا جذور لنا فيها لتظهر حقيقة الصراع الفكري الذي قام منذ اجيال بين مجتمعنا العربي الذي يخوض اشرس انواع المعارك المهددة لوجوده والتي مارست وتمارس أبشع أنواع الجرائم المنظمة ضد بلداننا وشعوبنا على مختلف ساحاته الفكرية منها والعسكرية وفي شتى أقطارها .

هكذا راحت د. عائشة عبد الرحمن في كتابها هذا تبرز معظم التناقضات الفكرية التي وقع فيها النقاد قديماً وحديثاً محاولة منها وإسهاماً في الدفاع من ثقافتنا القومية إبراز لملامح أمتنا في مرحلة دقيقة من مراحل حياتها فالقضية لديها ليست قضية عابرة إنه مصير أمة غير أنه يحصل تحت الحاح وظروف عامل خارجي ملح وحاسم لما في تلك القضية من خطورة في تحمل نوع الخيارات المطروحة على مستوى من التحدي الذي لا يجري على مسرح انساني عادي ولا على ثقافات عادية إنه تحد يشمل أشد انواع الثقافات تماسكا ومنطقاً وسؤدداً وقوة، فهو تحد شامل لثقافات عصر برمته بين حضارة آفلة قامت يوما على نبل الأديان السماوية وحضارة سائدة قامت من محاكم التفتيش ثم ازدهرت وأينعت نتاجها الطبيعي لقانون الوراثة، وطرحت اسرائيل وهيمنت على مختلف ساحاتنا وشوارعنا بعد أن حولت الأديان السماوية سكينة للذبح على الهوية الطائفية .